حوار إبراهيم – عليه السلام – مع الآخر

فى القرآن الكريم

☜إعـــداد

د/ على بهلول على أحمد

أستاذ مشارك بقسم التاريخ كلية الآداب

جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجي

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحوار وسيلة جميع الأنبياء في دعوتهم إلى أقوامهم، مع أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة المؤيدة والمسددة بالوحي.

وأزكى الصلاة وأتم السلام على نبي قدوة ، اعترف (بالآخر) ، ومد جسور الحوار معه ؛ فخاطبه ، وكاتبه ، وناقشه ، وفاوضه حتى توصل معه إلى بناء نقاط مشتركة ، والمصالحة ، والمواثقة ، والمعاهدة...(١)

ثم أما بعد ...

فقد جاءت رسالة الإسلام « الخاتمة متضمنة مسيرة النبوة بكل ما حفلت به من ألوان الحوار، وأساليبه ، وأنواعه ، ومشاهده منذ بدء الخليقة ، حيث حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة حول خلق آدم عليه السلام ، وحواره جل وعلا مع آدم وزوجه ، وحواره تعالى مع الشيطان ، وحوار الأنبياء مع رب العالمين ، وحوارهم مع أقوامهم في بيئات مختلفة ، وأزمان مختلفة وأساليب متنوعة ، الأمر الذي يشكل لأصحاب الرسالة الخاتمة مشهداً حوارياً متكاملاً لكل أساليب الحوار ، وموضوعاته ، على مستوى الذات و(الآخر)، والذي يمكن أن يعتبر إغناءً وإثراءً ، وميادين تدريب وأدلة عمل ، ومشروعات حوار نضيجة تاريخياً للسائرين على درب النبوة»(٢).

وهذا البحث الموسوم(حوار إبراهيم ــ عليه السلام ــ مع الآخر في القرآن الكريم ــ دراسة منهجية) يحاول الإفادة من ذلك ، ويهدف إلى استجلاء منهج إبراهيم ــ عليه السلام ــ في الحوار مع الآخر(الأسس ، الآداب ، السمات والمهارات)من خلال دراسة الآيات القرآنية الواردة في قصته ــ عليه السلام ــ ، مسترشداً في سبيل الوصول إلى ذلك بكتب التفسير ، وقصص الأنبياء ، والمراجع ذات العلاقة.

أما أهمية البحث وأسباب اختياره ، فيمكن إيجازها في الآتي:

١- أن الحوار مع الآخر ضرورة غائية وحياتية ؛ ذلك أن الله تعالى: خلق الإنسان للخلافة وعمارة الأرض(٣) ، وجعل السنة الجارية في خلق الناس الاختلاف(٤) ، والتعدد ، و التنوع في: الأجناس والأقوام(٥) ، والشعوب والقبائل(٦) ، والشرائع والمناهج(٧) ، والحضارات(٨)،(٩) ، لغاية محددة هي التعارف(١٠)،كما جعل سبحانه السنة الجارية في صلاح هذه البسيطة وحياة الناس عليها هو (التدافع) الذي يؤدي إلى استمرار الحياة ، لا (الصراع) الذي يؤدي إلى الفناء(١١).

« وإذا كانت العلة والهدف من تنوع الخلق هو التعارف والتعايش والتفاهم تحقيقاً لسنة الله في التدافع ، والتكاثر ، والتنامي الذي لا يمكن أن يكون إلا بالتنوع ، فإن الحوار بأشكاله ومسمياته ومصطلحاته المتعددة يصبح من لوازم الحياة ، وضمان استمرارها ، وإقامة العمران ، والاضطلاع بأعباء الاستخلاف الذي يقتضي الاضطلاع به التعارف ، و التعاون ، والتعايش ،والتدافع»(١٢).

٢- أن الحوار مع الآخر ضرورة شرعية(١٣):

أ - لتبليغ الرسالة،وحمل أمانة الدعوة؛ فالأصل هوالتفاعل التبليغي وعدم جوازالسكون(١٤).

ب - لبناء مستقبل الأمة؛ ذلك أن فهم مقاصد الدين، وتجسيد روح التدين الحقيقي

يدعوا الأمة الإسلامية إلى الانفتاح على قواعد تأخذ في الحسبان خلاصة التجارب الإنسانية، والسعي لتأصيلها(١٥).

ج - لحضور الأمة؛ فاختصاص حضارة الإسلام بالرسالة لخاتمة يستوجب أول ما يستوجب حضور المسلمين لله تعالى في هذا العالم حتى يتحقق الشهود(١٦).

٣- أن الحوار مع الآخر ضرورة عملية عصرية ملحة:

أ - « للواقع العالمي القائم على الاتصال والتفاعل والاعتماد المشترك بين الشعوب والجماعات»(١٧).

ب - لصعوبة العزلة والاكتفاء على الذات في عصر العولمة،والكوكبة،والكونية، الذي سقطت فيه الحواجز بين بني البشر،وأصبح العالم فيه بفعل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة أشبه بقرية صغيرة(١٨).

ج - « لمقاومة الهيمنة الأحد للعولمة في مجالاتها الاقتصادية والسياسية،والاجتماعية،والثقافية ، خصوصاً فيما يتصل بالحفاظ على الهويات الثقافية المختلفة،ودعم خصوصيتها الثقافية»(١٩).

د - لتصحيح صورة الذات لدى الآخر، ومواجهة الحملة الغربية المسعورة على الإسلام، خصوصاً وأن بعض منظري الصراع في الغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة طرحوا الإسلام باعتباره خطراً يهدد الغرب(٢٠).

٤- أن نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ بنص القرآن الكريم:

أ ــ أبو الأنبياء جميعاً؛ فما من نبي بعده إلا وهو من عقبه متصل به نسبه، وكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد الخليل فمن ذريته وشيعته(٢١) ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾(العنكبوت/ ٢٧) .

ب - قدوة لكل من جاء بعده؛ فقد جعله الله تعالى إماماً للناس يقتدون به، ويأتمون بهديه(٢٢)؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (البقرة/١٢٤) ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل/١٢٠) ؛ « أي: قدوة إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير يقتدى به فيه » (٢٣)،« فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم »(٢٤).

أما المنهج المتبع في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي، وقد سار

الباحث في كتابته على منهج علمي قائم على التوثيق، ومن ذلك :

١- الاعتماد على الآيات القرآنية الواردة في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ سيما التي تحكي حواره مع الآخر.

٢- نسبة الآيات إلى سورها بأرقامها في المصحف الشريف.

٣- اعتماد الأقواس الكبيرة والمزهرة للآيات القرآنية ، والقوسين الصغيرين للنصوص المقتبسة حرفيا مع تمييز الاقتباس غير الحرفي بلفظ(ينظر) قبل ذكر المصدر أو المرجع.

٤- اعتماد هامش نهاية المطلب دون ذكر بيانات المصدر إكتفاءً بقائمة المراجع .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع والمنهج المتبع في بحثه تقسيمه إلى: مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة.

احتوت المقدمة على: فكرة الموضوع ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، والمنهج المتبع في بحثه. وخصص المبحث الأول: للتعريف بأهم مصطلحات البحث (الحوار ، المنهج).

فيما خصص المبحث الثاني: لبيان منهج إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الحوار مع الآخر.

أما الخاتمة: فتضمنت ملخصاً بأهم نتائج البحث .

وقد وضع الباحث في نهاية البحث قائمة بأهم المصادر والمراجع اعتمد عليها مرتبة على حروف الهجاء(ألف، باء...).

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ التوفيق ، وأن يعصمنا من الزلل والقول بما لا نعلم ، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم ، و ذخراً لنا ولوالدينا في الدارين..

آمين اللهم آمين

الهوامش

(١) ينظر:مقدمة/ عمر عبيد حسنة ــ على كتاب / الحوار.. الذات والآخر: ١٤،٢٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦ .

(٣) يراجع : سورة البقرة/٣٠ .

(٤) يراجع : سورة هود/١١٨،١١٩ .

(٥) يراجع : سورة الروم/٢٢ .

(٦) يراجع : سورة الحجرات /١٣

(٧) يراجع : سورة المائدة / ٤٨ .

(٨) يراجع : سورة الحج /٤٠.

(٩) يراجع : حضارة أم حضارات : ٩،١٠.

(١٠) يراجع : سورة: الحجرات/١٣.

(١١) يراجع : سورتا البقرة/٢٥١،والحج/٤٠.

(١٢) الحوار.. الذات والآخرة:٥.

(١٣) ينظر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم: ١١٦،١١٧،١٢٠.

(١٤) يراجع : سورة : آل عمران /١٠٤.

(١٥) يراجع : سورة آل عمران /١١٠.

(١٦) يراجع : سورة البقرة /١٤٣.

(١٧) يراجع : سورة الحجرات/١٣،.وينظر من أساليب الإقناع في القرآن الكريم:١١٦.

(١٨) ينظر : الحوار.. الذات والآخر :٤٦.

(١٩) حوار الحضارات والثقافات: ١٧.

(٢٠) ينظر: موقف الإسلام من الصراع:٥٠.

(٢١ ــ ٢٣) ينظر : قصص الأنبياء من القرآن والأثر:١٤٨،١٤٩،١٥١.

(٢٤) التفسير الكبير أو مفاتيح علوم الغيب:٢١/٢٠٩.

المبحث الأول

مصطلحات البحث

المطلب الأول

الحوار والمصطلحات المتداخلة معه

يجد الناظر في كتب اللغة ومعاجمها أن مصطلح الحوار كمفهوم ومعنى يتفق في بعض الجوانب مع مصطلحين آخرين هما : الجدل ، والمناظرة ؛ الأمر الذي يستوجب الوقوف على مفهومهما أولاً من أجل الوصول إلى معنى تام وجلي للحوار.

أولاً : الجدل

الجدل في اللغة(١): من(جَدَلَ) ، والجَدْل : شدة الفَتْل ، والجَدَل : اللدَدُ في الخصومة والقدرة عليها ، والجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة.

يتضح من ذلك«أن كلمة الجدل تدور حول معنيين :

المعنى الأول: الغلبة والقوة والصلابة، وهو مأخوذ من الجَدْ ل الذي هو شدة فتل الحبل ، وإذا نقلنا هذا المعنى اللغوي المحسوس إلى الجوانب الفكرية والعقلية فسنجد بينهما تطابقاً وإتفاقاً ، لأن كل واحد من المتجادلين يحاول بقوته وفكره أن يجادل(الآخر) ويفتله«يثنيه»عن رأيه ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالقوة الدليل وصلابة الفكرة.

المعنى الثاني: اللدد في الخصومة مع القدرة عليها ، وهذا المعنى اللغوي يتفق مع نوع من أنواع الجدل الفكري وهو اللجاج الذهني ، الذي لا يكون الغرض منه الوقوف على الحقيقة ، أو الوصول إلى الصواب ، وإنما مجرد الجدل لأجل الجدل ، وهو ما يطلق عليه العلماء الجدل المذموم ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصِمُون﴾ (الزخرف/٥٨) » (٢).

أما في الاصطلاح: فيعرف الجرجاني الجدل بقوله:«هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات ، والغرض منه إلزام الخصم ، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ..وهو الخصومة في الحقيقة» (٣).

يتضح من التعريف أن الجدل «يتأرجح بين المراء والخصومة ، وبين إفحام الخصم وإلزامه ؛ فكأن(الجدل) عراك وشجار ، السلاح فيه هو الكلام والحجة، وكأن غايته إلا قهر الخصم أولاً ثم إظهار الحجة عليه ثانياً» (٤).

« ولم يرد لفظ الجدل ، أو الجدال ، أو المجادلة ، أو ما كان مشتقاً منه ، في آي الذكر الحكيم إلا في مطرح الذم ، ومعرض القدح والتعريض والتهجين ، ما سوى أماكن عدة متفرقة يغلب عليها أسلوبها اللين والهدوء ،و المحاورة التي تمتلك وسيلة الإقناع وقوة الحجة والبيان ، كقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنَ﴾(النحل /١٢٥)..»(٥).

ثانياً : المناظرة

المناظرة في اللغة: جذرها الثلاثي(نَظَرَ)، وهي إما من النظير ، أو من النظر بالبصيرة ؛ فهي من النظر : تفيد الانتظار والتفكير في الشيء تقيسه وتقدره ، ومن التناظر : تفيد التقابل ، ومن النظير : تفيد التماثل(٦).

أما في الاصطلاح: فيعرفها الجرجاني في تعريفاته بأنها:«النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب » (٧).

«وهي بهذا المعنى تفيد المحاورة بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الفريق الآخر ، بحيث يريد إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه ، مع توفر الرغبة الصادقة

بظهور الحق والاعتراف به عند ظهوره»(٨).

ثالثاً : الحوار

الحوار في اللغة: أصله من الثلاثي (حَوَرَ) الذي يأتي على معانٍ متعددة، أهمها (٩):

١- الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، تقول : حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحَاراً ومَحارَة:رجع عنه وإليه.

٢- التحول من حال إلى حال ؛ فكل شيء تغير من حال إلى حال ، فقد حَارَ يَحُور حَوْراً.

٣- الإجابة والرد ، تقول : كلمته فما رجع إلي حَوْراً أي : جواباً، وأحار عليه جوابه : رَدهْ ، والمُحَاوَرَةُ : المجاوبة والتحَاوُرُ : التجاوب ،والحَوْر : الجواب.

٤- الاستنطاق ومراجعة الكلام ، فاستحاره :استنطقه ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ، والمُحَاوَرَة : مراجعة المنطق في المخاطبة.

٥- النقاء والتخلص من العيوب ؛ فالحَوَاري : الخالص ، وكل شيء خَلَصَ لونه فهو حَوَاري ، والحواريون في اللغة : الذين أُخْلِصُوا ونُقوا من كل عيب.

هذه هي أهم المعاني التي تدور حولها كلمة الحوار في اللغة ، وهي عند التأمل إما داخلة في بنية الحوار أو مستعملة فيه، وبعضها نتيجة له؛ فالمتحاورون قد يرجع أحدهما إلى رأي ، أو فكر، أو قول صاحبه إذا تبدا له صوابه ، ورام الوصول إلى الحقيقة ، كما أن المحاور لا يثبت إبان المحاورة على حال واحدة بل يتقلب من حال إلى حال ، فتارة تجده مبرهناً ، وتارة مستفسراً ، وأخرى مفنداً ... وهكذا. ناهيك عن أن كلاً من طرفي الحوار ولاجرم يهتم إهتماماً لا مزيد عليه بالإجابة على أسئلة صاحبه والرد على

أدلته وبراهينه ، كما أن كلاً منهما يستنطق صاحبه ، ويراجع الكلام معه للوصول إلى هدفه وقصده، أما بالنسبة إلى النقاء والتخلص من العيوب ؛ فالواقع أن طبيعة الحوار والمناقشة تؤدي بالنتيجة إلى التخلص من العيوب الفكرية، من خلال طرح الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها(١٠).

أما الحوار في الاصطلاح: فمن خلال البيان اللغوي السابق يمكن تعريفه بأنه : أسلوب(كلامي) يجري بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة ، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به ، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره وصولاً إلي نتيجة مقنعة(١١).

وفي ضوء هذا التعريف ، وبعد الرجوع إلى مفهوم ودلالة مصطلحي: (الجدل والمناظرة) آنف الذكر « يتضح لنا أن الحوار(يتفق في دلالته مع المناظرة وهو) وإن كان مناوبة الحديث بين طرفين إلا أنه لا يشتمل على الخصومة والمنازعة والمراء كما هو في الجدل و وإنما هو أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع ما ... للوصول إلى حقيقة

معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة: وهو عملية تتضمن(طرحاً) من طرف ،يتمثله الطرف (الآخر) ويجيب عليه فيحدث (تجاوب) يولد عند كل منهما (مراجعة) لما طرحه الطرف (الآخر)، وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورة » (١٢).

الهوامش

(١) ينظر: لسان العرب: ١١/١٠٥،١٠٣.

(٢) الحوار .. الذات والآخر :٣٦.

(٣) التعريفات ــ للشريف الجرجاني:١٠١.

(٤،٥) ينظر : مصطلحات قرآنية:١٢٧،١٢٦.

(٦) ينظر: لسان العرب : ٥/٢١٥-٢١٩.

(٧) التعريفات :٢٩٨.

(٨) الحوار ..الذات والآخر:٣٨.

(٩) ينظر: لسان العرب :٤/٢١٧-٢٢٠.

(١٠) ينظر المرجع السابق :٣٩.

(١١) ينظر:الحوار..الذات والآخر:٤٠.،ومحاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم:٣٩.

(١٢) الحوار..الذات والأخر:٤٠.

المطلب الثاني

المنهج

المنهج في اللغة: أصله من الجذر(نهج)، وهو الطريق البين الواضح ، ويطلق على الطريق المستقيم ، تقول : نهج ينهج نهجاً، وأنهج الطريق:وضح واستبان،وصار نهجاً واضحاً بيناً،واستنهج الطريق: صار نهجاً، والمنهج :النظام والخطة المرسومة للشيء(١).

وكيفما تصرفت اللفظة فإنها تدل على الطريق الواضح البين الذي يوصل إلى الغاية المقصودة بسهولة ويسر ، كما يتضمن معنى الإسراع في الطريق لوضوحها ، أو في إنجاز العمل لوضوح طريقته(٢).

والمنهج والمنهاج بمعنى واحد،ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ (المائدة/٤٨) ،أي :طريقاً واضحاً سهلاً، قال ابن كثير في تفسيره:« أما المنهاج ، فهو الطريق الواضح السهل» (٣).

أما في الاصطلاح: فجميع التعريفات الاصطلاحية للمنهج لا تخرج في معناها العام عن كونه وسيلة لتحقيق هدف معين بطريقة محددة.

فالمنهج اصطلاحاً: هو الطريق الواضح الذي يؤدي إلى التعرف على الحقيقة بواسطة عدد من القواعد العامة التي تهيمن على سير عمل العقل؛فتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة (٤).

والمنهج بالمعنى العلمي :« مجموعة من الاجراءت التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين» (٥) .

الهوامش

(١) ينظـــر: تـــاج العـــروس مـــن جـــواهر القـــاموس باب/ الجيم ــ فصل/النون مع الجيم: ٣/٥٠٤.

(٢) ينظر : التفكير المنهجي وضروراته:١٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم:٢/٦٣.

(٤) ينظر:مناهج البحث العلمي:٥.

(٥) المرجع نفسه:٢٤.

المبحث الثاني

منهج إبراهيم (عليه السلام) في الحوار مع الآخر

المطلب الأول

الأسس والمرتكزات

حرص الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ في حواره مع الآخر على أمور تعد بمثابة الركائز الأساسية اللازم توفرها لنجاح الحوار، وأهم هذه الأسس والركائز:

١/ إنصاف الآخر وعدم التعصب

وقد تبدى هذا جلياً في جميع حوارات إبراهيم ـ عليه السلام ـ ؛ فهاهو في حواره مع المشركين من عبدة الكواكب (بالرغم من أنه على الحق وهم على الباطل) يتجرد من جميع المؤثرات الذاتية والعقدية تجرداً بلغ حدً:

أ - القول في حق الكوكب ، والقمر ، والشمس:﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾(الأنعام/٧٨،٧٧،٧٦).

قال النسفي :« والصحيح أن هذا قول من يصنف خصمه مع علمه أنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ؛ لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب » (١).

ب - تأكيد الإنصاف بالقول في حق الشمس:﴿هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ﴾(الأنعام/ ٧٨)؛ فقوله: ﴿هَـٰذَا أَكْبَرُ﴾ كما يقول أبوالسعود:« تأكيد لما رامه عليه السلام من إظهارالنصفة»(٢).

ج - المبالغة في الإنصاف وعدم التعصب ؛ بالتساوي مع عبدة الكواكب في

طلب الهداية إلى الحق ، بعد أفول الكوكب ، والقمر ، والذي قرر بطلان اتصافهما بالربوبية ؛ إذ قال عليه السلام :

﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين﴾(الأنعام /٧٧).

قال صاحب إرشاد العقل السليم :« قال لئن لم يهدني ربي إلى جنابه الذي هو الحق؛ لأكونن من القوم الضالين ؛ فإن شيئاً مما رأيته لا يليق بالربوبية، وهذا مبالغة منه عليه السلام في إظهار النصفة» (٣).

بل إن الخليل ــ عليه السلام ــ(إنصافا للآخر) ليدخل المحاورة مع عبدة الأصنام وكأنه لا يعرف شيئا عن أصنامهم مع أنها معبود أبيه و صنع يده ؛ إذ قال لأبيه وقومه :﴿مَا تَعْبُدُون﴾(الشعراء/ ٧٠) ، ﴿مَاذَا تَعْبُدُون﴾(الصافات /٨٥) ، ﴿مَا هَـذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِيَ أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُون﴾ ؟(الأنبياء/٥٢) ، « حيث سألهم عن أصنامهم بـ(ما) التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف.. مع إحاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً » (٤) .

٢/ الموضوعية والبعد عن الشخصانية

وهو من أهم ما حرص عليه إبراهيم ــ عليه السلام ــ في حواره مع الآخر حتى في اللحظة الأخيرة من الحوار ، بعد إبطال دعوى الخصم وإقامة الحجة عليه ، تأمل إن شئت آخر كلماته في حوار عبدة الكواكب ، لقد قال لهم:﴿فَأيّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقّ بِالأمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون﴾(الأنعام /٨١) ؛ فعبر ــ عليه السلام ــ عن الذات والآخر بالفريقين ، ولم يقل : أينا أحق بالأمن ؟ أنا أم أنتم ؟ ؛ التزاماً للموضوعية في الحوار .

٣/ اعتماد العقل والمنطق في الحوار

حرص الخليل ــ عليه السلام ــ على أن يكون العقل والمنطق ركيزة

أساسية في الحوار مع الآخر ؛ ولذلك نجده :

أ - يطلب من أبيه تعليلاً عقلياً منطقياً واحداً يدعوه إلى عبادة الأصنام ؛ فيقول:﴿يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً﴾(مريم /٤٢).

ب - ينبه عقول وقلوب قومه من عبدة الأصنام بهذا الاستفهام الذي يقرر الحجة عليهم أو طلباً للدليل :﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ•أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرّون﴾(الشعراء/٧٢،٧٣) ؛ فإن سكتوا فقد أقروا وقامت عليهم الحجة ، وإلا طالبهم بالدليل .

ج - يهاجم عبدة الأصنام عند رجوعهم في دعواهم إلى التقليد ، ويستثيرهم لاستخراج الدليل العقلي والمنطقي ؛ إذ قالو﴿وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ • قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ﴾(الأنبياء/٥٣،٥٤).

د - يطرح دعواه مشفوعة بالقدرة التامة على التدليل ؛ فيقول :﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنّ وَأَنَاْ عَلَىَ ذَلِكُمْ مّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(الأنبياء / ٥٦)،«أي:من العالمين به المبرهنين عليه » (٥) ؛ « فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحققه، وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه ، وإثباته بها ، كأنه قال : وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه» (٦).

هـ - يستخدم المنطق الواضح البسيط في الاستدلال ؛﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللّهُ خَلَقَكُمْ

وَمَا تَعْمَلُون﴾(الصافات /٩٥،٩٦)،« فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون وهذه الأصنام مخلوقة ؛ فكيف يعبد مخلوق مخلوقاً مثله ؛ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم ، وهذا باطل فالآخر باطل للتحكم؛ إذ ليست العبادة تصلح ولا تجب إلا للخالق وحده لاشريك له » (٧).

و - يعضد دعواه بالأدلة العقلية المنطقية الواقعية ؛ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبّيَ

الَّذِي يُحْيِي ويميت قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة / ٢٥٨) ؛ حيث استدل بحقيقتين : «حقيقة في الأنفس ، وحقيقة في الآفاق..وهما..مكرورتان معروضتان للبصائر والأبصار آناء الليل وأطراف النهار، لا يحتاجان إلى علم غزير، ولا إلى تفكير طويل »(٨).

ز- يحتج احتجاجاً عقلياً منطقياً على فساد معتقد الآخر ومن واقع ما يعبد :

• فيستدل بأفول الكواكب ، والقمر ، والشمس على بطلان عبادة الكواكب والنجوم ؛ لأن الأفول أقوى الآيات على الحدوث(٩)؛ فهذه الأجرام محدثة محتاجة إلى محدث يحدثها ، ومخصص يخصصها بما تختص به (١٠).

• ويستدل على بطلان عبادة الأصنام بتحطيمها؛ إذ لو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء (١١).

هذا ويلحظ جلياً في سائر ما تقدم أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ قد اعتمد في حواره مع الآخر على مخاطبة العقل ،وتقديم أو طلب الحجج والشواهد المنطقية ،إضافة إلى تفنيد الآراء المضادة ، مستخدماً في ذلك كله :

أ - بناء النتائج على المقدمات.

ب - الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية.

ج - تفنيد وجهة النظر الأخرى.

إن العقل والمنطق في جميع حوارات إبراهيم ــ عليه السلام ــ بمثابة قطب رحى المحاورة ، ولذلك نجده لا يتأثر في أي من حواراته بأي مؤثر

خارجي كالنبوة ، و الرسالة ، والوحي حتى في حواره مع ربه ؛ « فنحن نراه في حوراه مع الله عزّوجلّ يتقدم للمحاورة وكأنه متجرد من النبوة بل من الإيمان: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(البقرة /٢٦٠) ؛ فإبراهيم في هذه المحاورة يريد التحاور ضمن قواعد العقل والمنطق ، ويرفض وجود أي مؤثر في المحاورة غير العقل »(١٢) .

٤/ تحديد الهدف من الحوار وتوضيحه

حرص إبراهيم - عليه السلام - وهو يحاور الآخر على إبراز الهدف الذي تدور حوله المحاورة ، وركز على أن تكون الغاية واضحة ، والهدف محدداً ومقبولاً من النفوس والمشاعر بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلي ، ومن أمثلة ذلك ما جرى في محاورته - عليه السلام - مع المشركين من عبدة الكواكب ، وتدرجه العقلي والنفسي معهم حتى وصل إلى تقمصه عبادة الشمس معهم: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾، ليصل بهم إلى النتيجة بعد أن انتزع اعترافهم بأن الإله لا يغيب ولا ينبغي له أن يغيب ، ومن هنا برزت النتيجة :﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ• إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة: الأنعام /٧٨،٧٩)(١٣).

وهكذا ركز إبراهيم - عليه السلام - على النتيجة من خلال هذه الكلمات انموجزة التي راعى فيها جملة من النواحي ، أبرزها(١٤):

• المحافظة على صلته بالآخر وتقريبه إليه ؛ بقوله:(يا قوم) أملاً في كسب إيمانه.

• إعلان الحكم على عبادة الآخر للكواكب بأنها شرك ، وأنه مستنكر لذلك ،

بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

• قدم للآخر البديل الصحيح الذي يجب أن يتجه إليه، وهو الأيمان بالله تعالى؛ بقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ..﴾.

« كل هذه المفاهيم التي أراد إبراهيم توضيحها كانت منصبة على تحديد الغاية و إبراز الهدف من هذا الحوار ، وهو إثبات وحدانية الله تعالى ، وإبطال ما عداه من الآلهة ، وقد سلك في سبيل تحقيقها كل الوسائل الممكنة ، لجعلها في غاية الوضوح عن طريق المحاورة التي لا تقصد هدفاً شخصياً ولا مصلحة ذاتية،وإنما تهدف إلى إصلاح العقيدة وتثبيتها في النفوس»(١٥).

٥/ المعرفة التامة بالآخر وإعداد خطة علمية مسبقا لحواره

جميع ما ذكر آنفاً في العنصر السابق من أقوى الشواهد على أن حوار إبراهيم - عليه السلام - مع الآخر لم يكن ارتجالاً، بل كان مبنياً على خطة علمية محكمة أعدت مسبقاً وفي ضوء معرفة تامة بالآخر(فكراً ، ومعتقداً ، وعادةً ، وسلوكاً...).

يشهد لذلك ويدل عليه ما ذكره المفسرين من أن الخليل ــ عليه السلام ــ في حواره مع عبدة الكواكب :

أ - إنما قال في حق :الكوكب، والقمر،و الشمس :﴿هَـذَا رَبِّي﴾(الأنعام/ ٧٦،٧٧،٧٨) ؛ لأنه ــ عليه السلام ــ كان قد عرف من تقليده لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل ، أنه لو صرح بالدعوة إلى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه ؛ فمال إلى طريق يستدرجهم إلى استماع الحجة ، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم .. ومقصوده

من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطال قولهم بربوبية الكواكب و وأن يقبلوا قوله، فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبدة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ،ولجو في طغيانهم يعمهون (١٦).

ب - وأنه - عليه السلام - إنما استدل بالكوكب وأفوله ،والقمر وأفوله ، والشمس و أفولها ؛ لأن المشركين من عبدة الكواكب كانوا أصحاب علم نجوم ونظر في الأفلاك(١٧).

ج - أن هذا الترتيب في الاستدلال - كما يقول الثعالبي -:إنما« يستقيم في الليلة الخامسة عشرة من الشهر إلى الليلة العشرين، وليس يترتب في ليلة واحدة في واحد أهل التفسير إلا في هذه الليالي »(١٨).

والتخطيط العلمي المسبق القائم على المعرفة التامة بالآخر كان ركيزة حوار إبراهيم ــ عليه السلام ــ مع عبدة الأصنام أيضاً ؛ إذ تذكر بعض كتب التفسير والقصص النبوي أن أعظم مقاصد الخليل - عليه السلام - أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه (١٩)، بدليل : ﴿فَأْتُواْ بِهِ عَلَىَ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُون﴾(الأنبياء / ٦١) ، ولذلك نجد أن إبراهيم - عليه السلام - :

ا - يحدد يوم عيد عبدة الأصنام موعداً لتنفيذ ما أقسم على فعله قائلا :﴿وَتَاللّهِ لأكِيدَنّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلّواْ مُدْبِرِين﴾(الأنبياء / ٥٧)، قال ابن كثير:« أقسم الخليل قسماًأسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم ، أي : ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين.. إلى عيدهم»

(٢٠)،« ويروى أنه كان للقوم عيد .. يخرجون فيه إلى الحدائق والخلوات ، بعد أن يضعوا (الأطعمة) والثمار بين يدي آلهتهم لتباركها ثم يعودوا بعد الفسحة والمرح فيأخذوا طعامهم المبارك!،وأن إبراهيم - عليه

السلام .. انتظر هذا اليوم الذي يبتعدون فيه عن المعبد والأصنام لينفذ ما اعتزم» (٢١).

ب - يعتذر عن الخروج للاحتفال بالعيد (بعذر مقنع استخدم فيه علم النجوم الذي كان مستعملاً عند عبدة الأصنام) في سبيل التوصل إلى تحطيم الأصنام ؛ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النَّجُومِ• فَقَالَ إِنِّي سَقِيم﴾(الصافات/ ٨٨،٨٩)؛ حيث يذكر المفسرون أن عبدة الأصنام قالوا لإبراهيم : إن غداً عيدنا فاخرج معنا ، فنظر إلي نجم طالع؛فقال : إن هذا يطلع مع سقمي وكان علم النجوم مستعملاً عندهم منظوراً فيه ويستدلون به على الحوادث المستقبلية ، فأوهمهم هو من تلك الجهة وأراهم من معتقدهم عذراً لنفسه؛ ليتواصل بذلك إلى كسر الأصنام (٢٢).

د - استثنى كبير الأصنام فلم يحطمه حتى إذا ما سالوه على أعين الناس لعلهم يشهدون: ﴿قَالُوَاْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا يَـإِبْرَاهِيمُ • قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء/٦٢، ٦٣) ، فتقوم الحجة على جميع عباد الأصنام .

٦/ الاتساق التام في الدعوى والدليل

حرص الخليل - عليه السلام - وهو يحاور الآخر على أن لا يكون في الدعوى التي يطرحها ، أو في الدليل الذي يقدمه ، أو فيهما معاً أي تعارض يجعل بعض كلامه ينقض بعضه الآخر، وقد تبدى هذا واضحاً بما يغني عن كل تفصيل أو مزيد بيان في سائر حواراته - عليه السلام - مع الآخر في القرآن الكريم .

٧/ تهيئة الأجواء المناسبة للحوار وتلافي معوقاته

تجلى هذا بوضوح في حواره - عليه السلام - مع النمرود ملك بابل ؛

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾،أي : يخلق الحياة والموت في الأجساد ، فرد النمرود ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وراح يموه على الحضور فجاء برجلين قتل أحدهما واستبقى الآخر زاعما أن ذلك منه إحياء وإماتة (٢٣).

وهذا في الحقيقة ليس بمعارضة لدليل الخليل ، بل هو خارج عن مقام المناظرة فليس بمنع ولا بمعارضة ، بل تشعيب محض وهو انقطاع في الحقيقة؛ إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل (٢٤).

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك بالتمويه قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم (٢٥) ، وكان إبراهيم حريصاً على إرسال عنان الحوار وتلافي معوقاته (٢٦) ، « لم .. يسترسل في جدل حول معنى الإحياء والإماتة مع رجل يماري ويداور في تلك الحقيقة الهائلة .حقيقية منح الحياة وسلبها»(٢٧) فيؤول الأمر إلى الشغب وتنقطع المناظرة وينتهي الحوار(٢٨)، لذالك لم يلتفت إلى إبطال مقالة الملك ، والاعتراض على معارضته الفاسدة، بل انتقل معه إلى حجة أخرى تبين وجود الصانع ، وبطلان ما ادعاه ، وانقطاعه جهرة ؛ فقال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ ؛ « أي : هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها .. وهو الله.. فإن كنت كما زعمت من أنك تحيي وتميت فأت بها بهذه الشمس من المغرب .. فبين ضلاله ، وجهله ، وكذبه فيما ادعاه ، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به ، بل انقطع وسكت ، ولهذا قال:﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة / ٢٥٨)» (٢٩).

٧/ التسليم بحرية الآخر وحقه في الإقتناع أو عدمه

إذ قال – عليه السلام – لعبدة الأصنام : ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ المبين﴾(العنكبوت /١٨).

الهوامش

تفسير النسفي: ١/٣٣١.

إرشاد العقل السليم :٣/١٥٤.، وينظر: روح المعاني: ٧/ ٢٠٢.

المصدر نفسه :٣/١٥٣.، وينظر: المرجع نفسه:٧/٢٠٠.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن :٤/٢١.

فتح القدير:٣/٤١٢.

إرشاد العقل السليم :٦/٧٣.، وينظر: تفسير البيضاوي:٤/٩٨.، وروح المعاني :١٧/٦٠.

قصص الأنبياء :١٢٤.

في ظلال القرآن:١/٢٩٩.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن :١٥/٩٢.

(١٠) ينظر: تفسير البيضاوي :٢/٤٢٤.

(١١) ينظر: قصص الأنبياء :١٢٣.

(١٢) الحوار .. الذات والآخر :٥٨،٥٩.

(١٣) ينظر: المرجع نفسه :٦٣.

(١٤) ينظر: أسلوب المحاورة في القرآن: ٣٤،٣٥. ـــ نقلاً عن: المرجع نفسه: ٣٤،٦٣

(١٥) المرجع السابق :٦٤.

(١٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٣/٤٢.، وروح المعاني :٧/١٩٩.

(١٧) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن :١/٢٣٦.

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) ينظر قصص الأنبياء : ١٢٣.، وتفسير القرآن العظيم :٣/١٧٠.

(٢٠) تفسير القرآن العظيم : ٣/١٦٩.

(٢١) في ظلال القرآن :٥/٢٩٩٢.

(٢٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥/٩٢ .، والجواهر الحسان : ٤/ ٢١

(٢٣) ينظر: فتح القدير :١/٢٧٧.

(٢٤) ينظر: قصص الأنبياء :١٢٨،١٢٧.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه:١٢٨.

(٢٦) ينظر : فتح القدير:١/٢٧٧.

(٢٧) في ظلال القرآن :١/٢٩٨.

(٢٨) ينظر : تفسير البيضاوي:١/٥٥٩.

(٢٩) قصص الأنبياء :١٢٨.

المطلب الثاني

الآداب

التزم خليل الله إبراهيم -عليه السلام - في حواره مع الآخر جملة من الآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة ، أبرزها :

٢،١/ التواضع والبعد عن تزكية النفس

وهما أدبان رفيعان التزامهما الخليل - عليه السلام - في حواره مع الآخر :

أ - فنحن نراه في حواره مع أبيه ؛ في منتهى التواضع ؛ إذ قال:﴿ يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾(مريم/٤٣)؛فـ« لم يسم .. نفسه(عليه السلام) بالعلم الفائق وإن كان كذلك» (١).

ب - ونراه ــ عليه السلام ــ في حواره مع عبدة الكواكب يحترز عن تزكية نفسه ؛ إذ قال:

﴿فَأَيّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقّ بِالأمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/٨١) ؛ فعبر- عليه السلام - عن الذات والآخر بالفريقين ، ولم يقل : أينا أحق بالأمن : أنا أم أنتم ؟

قال البيضاوي : « وإنما لم يقل : أينا ، أنا أم أنتم ؟ احترازاً عن تزكية نفسه» (٢).

ج - بل إننا لنراه - عليه السلام - في حواره مع عبدة الأصنام يهضم نفسه ؛ إذ يقول في معرض بيانه لأوصاف رب العالمين التي يستحق لأجلها العبادة دون غيره مما يشركون : ﴿وَالَّذِيَ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدّينِ ﴾(الشعراء/٨٢) ، « مع كونه في طاعة الله وعبادته في الغاية القاصية»

(٣) .

٣/ عفة اللسان

الخليل -عليه السلام - نبي مرسل ، ومن كانت هذه صفته ، كان ولا جرم أعف الناس لساناً ؛ فلا تصدر منه إلا الكلمة الطيبة ولا يقول إلا التي هي أحسن .

وتأمل رَدَّهُ - عليه السلام - على أبيه الذي قابل استعطافه ، ولطفه بالفضاضة ، والغلظة ، والتهديد بالضرب ، والشتم ، بل و الطرد ؛ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ۖ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾(مريم/٤٦،٤٧).

تأمل ردَّه على أبيه ، لقد قال له: ﴿.. سَلَامٌ عَلَيْكَ..﴾ ؛ وهو « توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ، أي : لا أصيبك بمكروه بعد ، ولا أشافهك بما يؤذيك ، و لكن﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ ، أي استدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ، ويهديك إلى الإيمان » (٤) ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾(مريم/٤٧).

٥،٤ / الرفق واللين في الخطاب والحوار بمودة واحترام

ففي حواره - عليه السلام - مع أبيه ، قال في مقدمة كل كلام:﴿ يَأَبَتِ﴾(مريم/ ٤١ــــ٤٥) ؛ فأورده مقروناً باللطف والرفق لا العنف (٥) ، وختم الكلام بالقول :﴿..إِنِّي أَخَافُ ..﴾ (مريم / ٤٥) ؛ فـ « ذَكَرَ الخوف للمجاملة و إبراز الاعتناء بأمره»(٦) ، وتدليلاً « على شدة تعلق قلبه بمصالحه » (٧) .

ثم إنه - عليه السلام - « لما ودع أباه بقوله:﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ ضم إلى

ذلك ما دل على أنه وإن بعد عنه فإشفاقه باق عليه كما كان ، وهو قوله : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم / ٤٧)» (٨) .

ثم تأمل احترامه - عليه السلام - للآخر في الحوار ، لقد قال لأبيه في مطلع حوره معه : ﴿يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً﴾ (مريم /٤٢) ،فـ« لم يصرح بضلاله بل طلب منه العلة التي تدعوه إلى عبادة الأصنام » (٩) .

وفي حواره عليه السلام مع عبدة الكواكب ؛ صَدَّرَ النتيجة النهائية لتدرجه العقلي والنفسي معهم من الكواكب ،إلى القمر، فالشمس التي تقمص عبادتها معهم حتى الأفول ؛ بقوله:﴿ يَقَوْمِ ﴾ ؛ ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام /٧٨ــ ٧٩) ؛ فحافظ الخليل -عليه السلام - على صلته بالخصوم وحرص على تقريبهم إليه ، حتى وهو يعلن النتيجة النهائية للحوار (١٠).

٦/الإصغاء وعدم المقاطعة

وهذا الأدب الإبراهيمي في الحوار مع الآخر واضح جليٌ بما يغني الاستشهاد والشرح.

٧/ احترام الآخر

فها هو الخليل - عليه السلام - وعلى سبيل المثال لا الحصر :

أ - يتحاشى وصم الآخر بالجهل وعدم العلم ؛ إذ يخاطب أباه إبان حواره معه قائلاً:﴿ يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ (مريم / ٤٣) ؛ فـ « لم يسم أباه بالجهل وإن كان في أقصاه » (١١) .

ب - يهتم بطرح الآخر وكلامه حتى بعد إعلان نتيجة الحوار وإقامة الحجة

عليه ؛ إذ يرد علي المشركين من عبدة الكواكب الذين حاجوه فيما أعلنه من التوحيد والبراءة مما يشركون ، وراحوا يخوفونه بأن آلهتهم التي طعن فيها ستصيبه بأنواع الآفات والبلايا :﴿قَالَ أَتُحَاجُّوَنِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام / ٨٠) .

ج - لا يدعي امتلاك الحقيقة دون الآخر ، بل يتساوى معه في طلبها ؛ إذ يقول بعد أفول الكواكب والقمر إبان حواره مع المشركين من عبدة الكواكب :﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِالضَّالِّين﴾ (الأنعام /٧٧).

د - يقر بحرية الآخر وحقه في الاقتناع والإتباع أو عدمه ، إذ يقول في نهاية حواره مع المشركين من عبدة الأصنام:﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَاعَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ المبين﴾ (العنكبوت /١٨)،﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىَ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَآءِ

رَبِّي شَقِيّا﴾(مريم / ٤٨).ويقول في نهاية حواره مع أبيه :﴿سَلاَمٌ عَلَيْكَ﴾(مريم / ٤٧).

هـ - يعطي الآخر الوقت الكافي للتعبيرعن فكره ومعتقده ، والدفاع عن وجهة نظره ، و يحرص على الإصغاء إليه وعدم مقاطعته،متجنباً في حواره النقد الشخصي للآخر ، واستخدم القوة البدنية في حالتي الدفاع أو الهجوم ، وهذا كله من الجلاء والوضوح في جميع حوارات الخليل عليه السلام - بما يغني عن الاستشهاد و التفصيل.

الهوامش

(١) إرشاد العقل السليم :٢٦٧/٥.

(٢) تفسير البيضاوي :٢٢٥/٢.، والتفسير الكبير :٥١/٢٣.، وتفسير النسفي ٣٣٢/١.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٥/٦.

(٤) إرشاد العقل السليم :٢٠٣/٦ .

(٥) ينظر: التفسير الكبير :٢٠٦/٢١.

(٦) المصدر السابق: ٢٦٨/٥،٢٦٧.

(٧) المصدر السابق نفسه .

(٨) التفسير الكبير:٢٠٨/٢١.

(٩) تفسير البيضاوي:١٨/٤

(١٠)أسلوب المحاورة في القرآن :٣٤. ـــ نقلاً عن: الحوار .. الذات والآخر:٦٣.

(١١) إرشاد العقل السليم :٢٦٧/٥.

المطلب الثالث

السمات والمهارات

تميز الخليل ــ عليه السلام ــ في حواره مع الآخر بعدد من السمات، والمهارات أبرزها:

١/ انتقاء العبارة

انتقى الخليل -عليه السلام - في حواره مع الآخر عباراته بعناية فائقة ، فجاءت تجمع إلى السهولة الوضوح ، و إلى القوة دقة التعبير ، تأمل على سبيل المثال :

• حواره مع النمرود ملك بابل

تجده قد قدم الحياة على الموت :﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت ﴾(البقرة / ٢٥٨) ، وهذا على عكس السياق القرآني ، بل على عكس قول الخليل نفسه إبان حواره مع عبدة الأصنام ؛إذ قال مثنياً على رب العالمين: ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين ﴾ (الشعراء/٨١) وإنما قدم الحياة هنا لأن المقام مقام استدلال على إلهية الله تعالى من ثم « وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح ، ولاشك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر، و إطلاع الإنسان عليها أتم ، فلا جرم وجب تقديم الحياة هاهنا في الذكر » (١) .

• وفي حواره مع عبدة الكواكب :

أ - رتب على(الظهور أو البزوغ) قوله في حق الكوكب ، والقمر، والشمس : ﴿ هَـذَا رَبِّي ﴾

(الأنعام/٧٦،٧٧،٧٨) ؛ كون الظهور والبزوغ حالة موجبة لظهور الآثار

والأحكام ملائمة يتوهم معها الاستحقاق في الجملة(٢) ، ورتب على(الأفول) قوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ ...﴾ (الأنعام /٧٨) ؛ كون الأفول حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الأحكام المنافيين للربوبية منافاة بينة يكاد يعترف بها كل أحد (٣).

ب - وقال في حق الشمس :﴿ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَر﴾(الأنعام /٧٨) ؛ فكبرها« استدلالاً وإظهار لشبهة الخصم» (٤) ، من جهة ،« مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر» (٥).

ج - قال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً ..﴾ (الأنعام / ٧٩) ؛« فذكرالوجه لأنه أظهر ما يعرف به الإنسان صاحبه »(٦)،وقال:﴿ لِلَّذِي فَطَرَ﴾ولم يقل:(إلى الذي) ؛ لأن الله تعالى متعالٍ عن الحيز والجهة (٧).

• وفي حواه مع المشركين من عبدة الأصنام :

أ - استفهم قائلاً : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِيَ أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُون﴾ ؟ (الأنبياء/٥٢)؛ فـ« سمى الأصنام بأسمائها ولم يقل إنها آلهة»(٨)،وعبرعن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هوعبارة عن اللزوم والاستمرار مع أنهم لا يقضون وقتهم كله في عبادتها ؛ استنكاراً وتوبيخاً لهم على إجلالها(٩)، « والمقصود بالذات الاستفسار عن سبب العبادة والتوبيخ عليها بألطف أسلوب» (١٠).

ب - وردّ على قول عبدة الأصنام :﴿ قَالُوَاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ• قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَاْ عَلَىَ ذَلِكُمْ

مّنَ الشّاهِدِين﴾ (الأنبياء /٥٦،٥٥)؛ ليؤكد

أن« ربوبيته (تعالى) ناشئة عن كونه الخالق ؛ فهما صفتان لا تنفكان.. لاكما يعتقد المشركون

أن الآلهة أرباب في الوقت الذي يعتقدون أنها لا تخلق ، وأن الخالق هو الله ، ثم يعبدون تلك الآلهة التي لاتخلق شيئاً وهم يعلمون » (١١) ، « وقوله :﴿ وَأَنَاْ عَلَىَ ذَلِكُمْ مّنَ الشّاهِدِين﴾

تذييل للجواب بما هو مقابل﴿ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاّعِبِين﴾ من حيث التركيب وهو بناء الخبر على الضمير ؛ كأنه قال : ليست من اللاعبين في الدعاوى بل من العالمين فيها بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ، كالشاهد الذي تقطع به الدعوى»(١٢) .

ج - قال في حق الأصنام:﴿ فَإِنّهُمْ عَدُوّ لِيَ إِلاّ رَبّ الْعَالَمِين﴾ (الشعراء / ٧٧)؛ حيث « استثنى ..

(رب العالمين)من عدائه لما يعبدون هم وآباؤهم الأقدمون (احتياطاً)..، فقد يكون من آباءهم الأقدمين من عبد الله قبل أن تفسد عقيدة القوم وتنحرف ، وقد يكون من عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى مدعاة» (١٣).

وقال :﴿فَإِنّهُمْ عَدُوّ لِي﴾ فصور الأمر في نفسه، ولم يقل(فإنها عدو لكم) ؛ تعريضاً لعبدة الأصنام ؛ فإنه أنفع في النصح من التصريح ، وإشعاراً بأنها نصيحة نصح بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول (١٤) ، « على معنى: إني فكرت في أمري فرأيت أن عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه ، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه ؛ فإذا تفكروا قالوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى

للقبول »(١٥).

٢/ الهدوء التام وعدم التوتر والانفعال

سمة إبراهيم - عليه السلام - التي لا تنفك عنه مهما كانت الظروف ؛ فها هو وقد تسامع القوم بخبر تحطيم الأصنام ،وعرفوا أنه الفاعل ﴿ فَأَقْبَلُوَاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾(الصافات/ ٩٤) :يسرعون الخطى ويحدثون حوله زفيفاً.. وهم جمع كثير غاضب هائج ، وهو فرد واحد يحاورهم بمنتهى الهدوء ويجيبهم بالحق الفطري البسيط لا يبالي كثرتهم ، وهياجهم ، وزفيفهم (١٦) :﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ• وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(الصافات/٩٥، ٩٦).

وعندما جاءوا به - عليه السلام - على رؤوس الأشهاد قاصدين التشهير به؛ « فيشهدون عليه بفعله ، ويشهدون عقابه» (١٧) ، وسألوه: ﴿قَالُوَاْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء/٦٢)، لم يرهب ذلك الجمع الحاشد الذي يريد الفتك به، ولم يتوتر أو ينفعل في ذلك الموقف الممتلئ بصنوف الضغط النفسي من الآخر ، بل أجاب في هدوء تام مقيماً الحجة على جميع عُباد الأصنام: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنْطِقُونَ﴾(الأنبياء/٦٣).

هكذا بمنتهى الهدوء انقلب السحر على الساحر ؛ طلبوا منه الاعتراف بتحطيم الأصنام ؛ ليقدموا على إيذائه ، فظهر منه ما انقلب به الأمر عليهم حتى تمنوا الخلاص من (١٨) ؛﴿ فَرَجَعُوَاْ إِلَىَ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوَاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ• ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىَ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلآءِ يَنطِقُونَ﴾(الأنبياء/٦٥،٦٤).

٣/ الصبر والروية في الحوار

تبدى ذلك جلياً في تروي الخليل -عليه السلام - وعدم التفاته إلى إبطال مقالة النمرود والاعتراض على معارضته الفاسدة لدليل الأحياء والإماتة ؛ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ (البقرة / ٢٥٨)؛ حيث لجأ النمرود إلى اللف والدوران والمراوغة فجاء برجلين قتل أحدهما وأبقى على الآخر حياً زاعماً أن ذلك منه إحياء وإماتة .

فلم يلتفت الخليل - عليه السلام - إلى إبطال ذلك ؛ لأنه لو فعل لدخل في جدل عقيم حول معنى الأحياء والإماتة مع رجل يماري ويداور ، فيؤول الأمر إلى الشغب وتنقطع المناظرة وينتهي الحوار.

يقول البيضاوي : «أعرض إبراهيم عليه لصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على...التمويه دفعاً للمشاغبة»(٢٠)؛« انتقل إلى حجة أخرى قصداً لقطع المحاج..» (٢١)،﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ، أي : «فبقي مغلوباً لا يجد مقالاً ولا للمسألة جواباً » (٢٢) ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة / ٢٥٨).

وتبدت هذه السمة من سمات الخليل - عليه السلام - (الصبر والروية مع الآخر) في الفترة الزمنية التي قضاها في الاستدلال على بطلان عبادة الكواكب؛ إذ تدرج -عليه السلام - في الاستدلال : من الكوكب،إلى القمر،فالشمس بدءاً من الظهور أو البزوغ وحتى الأفول.

٤/سرعة البديهة

نلمحها جلياً في سرعة انتقال الخليل - عليه السلام -إبان حواره مع النمرود إلى حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر الخروج منها

بمخرج مكابرة ومشاغبة وتلبيس وتمويه على الحاضرين (٢٣)؛ إذ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ « أي:انقطعت حجته » (٢٤) ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة / ٢٥٨).

٥/ حسن الاستدلال

وذلك للآتي :

أ - تنوع الأدلة وطريقة عرضها في الحوار الواحد

فها هو الخليل - عليه السلام - إبان حواره مع النمرود ، يحتج بحجتين : أحدهما خفية (الأحياء والإماتة) ، والأخرى : ظاهرة مرئية(شروق الشمس وغروبها) ، ويستخدم لعرضهما طريقتين : الأولى : طريقة العرض المجرد (للحجة الخفية) ، والثانية : طريقة التحدي(للحجة الظاهرة المرئية)(٢٥)،إقرأ وتدبر﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت ﴾، و﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾(البقرة / ٢٥٨).

ب - التدرج في الاستدلال

إذ نجد الخليل - عليه السلام - في حواره مع المشركين من عبدة الكواكب قد تدرج في استدلاله تدرجاً تصاعدياً، فبدأ بالكوكب،ثم القمر،فالشمس، و« الأخذ من الأدون فالأدون، مترقياً إلى الأعلى فالأعلى،له نوع تأثير في التقرير والبيان والتأكيد لا يحصل من غيره » (٢٦).

ج - ترتيب الحجج ترتيب الذروة بإيراد أهمها وأقواها في النهاية

تبدى ذلك جلياً في حواره الخليل -عليه السلام-مع النمرود؛حيث جاءت الحجة القوية

في نهاية الأمر،﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كفر والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة/ ٢٥٨)(٢٧).

د- الاستشهاد بالمصادر التي يعتبرها الآخر أعلى سلطة،وتحظى عنده بمصداقية عالية

فقد حطم الخليل الأصنام ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾(الأنبياء/٥٨)،

ثم ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنْطِقُونَ ﴾(الأنبياء/٦٣)(٢٨).

هـ - التكرار الذي يؤدي إلى تذكير الآخر باستمرار بهدف الحوار، ويدفعه إلى الاستمرار فيها

هو الخليل -عليه السلام- في حواره مع المشركين من عبدة الكواكب، يكرر إبان استدلاله

بالكوكب والقمر، والشمس عبارة:﴿هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام/٧٨،٧٧،٧٦).

و - التركيز على احتياجات الآخر واتجاهاته إبان الاستدلال وتقديم البديل الصحيح.

تأمل على سبيل المثال؛ إذ خاطب الخليل -عليه السلام- عبدة الأصنام قائلاً:﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(العنكبوت/ ١٧).

٦ / إبداء الرأي الآخر وإيضاحه

«نستشف ذلك من خلال قراءة متأملة لحوار الخليل ــ عليه السلام ــ مع النمرود؛

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة / ٢٥٨) .

ونراه ظاهراً في حواره مع عبدة الكواكب ؛ إذ نجد الخليل ــ عليه السلام ــ يصور للطرف الآخر وكأنه مؤمن برأيه ويقدم شرطاً لحجته ، بحيث لا يدع مجالاً غير واضح فيها ...

ففي حوار إبراهيم - عليه السلام - مع الآخر يوجد أمران ، وفرق بينهما:

أ - أن يعطي كل طرف الآخر الفرصة الكافية لإيضاح رأيه ودليله عليه .

ب- أن يقوم كل طرف بشرح حجة الآخر ودليله،وهذه مرتبة أرقى من سابقتها وقمة في التكيف الحواري مع الآخر» (٢٩).

٧/ اختيار الأسلوب الأمثل

فهاهو الخليل - عليه السلام - على سبيل المثال يسلك في حواره مع عبدة الكواكب أسلوب حكاية قول الخصم على لسانه،فيقول في حق الكوكب، والقمر ،والشمس:﴿ هَذَا رَبِّي﴾، و ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَر ﴾ (الأنعام/٧٦،٧٧،٧٨)، مبتعداً عن أسلوب الحوار المباشر الذي استخدمه مع عبدة الأصنام ، مراعاة لمقتضى حال العبادة وأهلها ؛ فعبادة الكواكب عبادة خفية وغير ظاهرة كعبادة الأصنام؛ فهي أخفى بطلاناً واستحالة ، ولذلك سلك الخليل في إبطالها وبيان استحالة ربوبيتها أسلوب حكاية قول الخصم على لسانه هذا من جهة .

ولأنه من جهة أخرى كان قد عرف من تقليد عبدة الكواكب لأسلافهم

وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صدع بالحق من أول وهلة كما فعله في حق عبدة الأصنام لم يقبلوا قوله ولم يلتفتوا إليه ؛ فمال إلى هذه الطريقة لاستدراجهم إلى سماع الحجة (٣٠) .

٨ / وضوح العرض وجودة ترتيبه وأسلوب تقديمه

تأمل ذلك في آيات سورة العنكبوت(١٦- ١٨) التي تعرض جانباً من حواره - عليه السلام - مع عبدة الأصنام ؛ إذ (٣١):

أ - بدأ أولاً ببيان حقيقة دعواه ، ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

ب - ثم ثني بتحبيب هذه الحقيقة: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ج - وفي الخطوة الثالثة بين لهم فساد معتقدهم بأبلغ الوجوه ، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ .

د - وفي الخطوة الرابعة يوجههم إلى البديل الصحيح الذي يملك ما يهمهم ويمس حاجتهم ليطلبوه

منه ﴿ فَابْتَغُواْ عِندَ اللّهِ الرِّزْقَ﴾ .

هـ - ثم يهتف بهم إلى واهب الأرزاق ليعبدوه ويشكروه﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ﴾.

و - وفي النهاية يكشف لهم أنه لامفر من الله ؛ فليؤمنوا به ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ز - بعدها يعلن حرية الآخر في الاقتناع والإتباع أوعدمه في استمالة تخويفية خفية بما حل بالأمم

السابقةإن هم كذبوه﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾.

الهوامش

(١) التفسير الكبير :٢٦/٧.

(٢)ينظر: إرشاد العقل السليم :١٥٤/٣.، وروح المعاني:٢٠٢/٧.

(٣) ينظر: المصدران نفسهما .، والتفسير الكبير :٤٤/١٣.

(٤) تفسير البيضاوي :٤٢٤/٢ .

(٥) إرشاد العقل السليم :١٥٣/٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢٨/٧ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه :٤٩/١٣.

(٨) في ظلال القرآن :٤/ ٢٣٨٥.

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم :٧٢/٦.

(١٠)روح المعاني: ٩٥/١٧.

(١١)في ظلال القرآن :٢٣٨٥/٤.

(١٢)المرجع السابق :٦١/١٧.

(١٣)المرجع السابق :٢٦٠٣.٢٦٠٢/٥.

(١٤)ينظر: إرشاد العقل السليم :٢٤٨/٦.، تفسير البيضاوي :٢٤٢/٤ .

(١٥)التفسير الكبير :٢٤/ ١٣٣.

(١٦)في ظلال القرآن الكريم :٤٩٩٣/٥.

(١٧)المصدر السابق:١٧٦/٢٢.

(١٨)المصدر نفسه .

(١٩)ينظر: فتح القدير :٢٧٧/١

(٢٠)تفسير البيضاوي :٥٥٩/١.

(٢١)زاد المسير في علم التفسير: ٣٠٨/١

(٢٢)التفسير الكبير:٢٩/٧.

(٢٣)ينظر: فتح القدير :٢٧٧/١.، وإرشاد العقل السليم :٢٥٢/١.

(٢٤)الجامع لأحكام القرآن :٢٨٦/٣

(٢٥)يراجع: في ظلال القرآن:٢٩٨/١.

(٢٦)التفسير الكبير:٤٨/١٣.

(٢٧)ينظر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم :٦٨،٦٩.

(٢٨)ينظر: المرجع نفسه :٥٧.

(٢٩)فن الحوار والتفاوض ــ بتصرف يسير :٢٩.

(٣٠)ينظر: التفسير الكبير:١٣/ ٤٨.

(٣١)ينظر: في ظلال القرآن :٢٧٢٨/٥.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع خليل الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ في القرآن الكريم ، والهادفة إلى استجلاء منهجه في الحوار مع الآخر (الأسس، الآداب ، السمات والمهارات) باستخدام المنهج الوصفي التحليلي ، تم التوصل إلى الآتي:

أولاً : أن الحوار الناجح والمثمر مع الآخر في منهج إبراهيم ــ عليه السلام ــ لابد أن يقوم على مجموعة من الأسس والمرتكزات المتعلقة بالعملية الحوارية ، وأهمها:

١- إنصاف الآخر وعدم التعصب.

٢- الموضوعية والبعد عن الشخصانية.

٣ - اعتماد العقل والمنطق في الحوار.

٤- تحديد الهدف وتوضيحه.

٥- المعرفة التامة بالآخر.

٦- التخطيط العلمي المسبق للحوار .

٧ - الاتساق التام في الدعوى والدليل وعدم التناقض .

٨ - تهيئة الأجواء المناسبة للحوار وتلافي معوقاته.

٩ - التسليم بحرية الآخر وحقه في الإقتناع أو عدمه.

ثانياً : إن جوهر رقي الحوار مع الآخر ، وبقائه عذباً رقيقاً بعيداً عن التنكل والمهاترة في منهج إبراهيم - عليه السلام - أن يرتبط بمجموعة من الآداب الفاضلة وهي:

١- التواضع ولين الجانب.

٢- البعد عن تزكية النفس.

٣- عفة اللسان.

٤- الرفق واللين في الخطاب.

٥- الإصغاء وعدم المقاطعة.

٦- الحوار بمودة واحترام.

٧- احترام الآخر (شخصاً، وفكراً ،ومعتقداً..).

ثالثاً : أن المحاور الناجح في منهج إبراهيم - عليه السلام - شخصية تتمتع في حوارها مع الآخر بالسمات والمهارات الآتية:

١- انتقاء لعبارة التي تجمع إلى الوضوح السهولة وإلى القوة دقة التعبير.

٢- الهدوء التام وعدم التوتر والانفعال.

٣- الصبر والروية في الحوار

٤- سرعة البديهة.

٥- حسن الاستدلال.

٦- إبداء الرأي الآخر وتوضيحه.

٧- اختيار الأسلوب الأمثل.

٨ - وضوح العرض وجودة ترتيبه وأسلوب تقديمه.

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات أولاً وآخراً

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الصافات/١٨٠ -١٨٢).

ثبت المصادر و المراجع

وهي بعد كتاب الله تعالى الخاتم (القرآن الكريم):

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لمحمد العمادي أبو السعود - ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان: (د.ت).

٢- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم - لعبد الحليم حنفي - ط/ القاهرة:١٩٧٧م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس - لأبي الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي - تحقيق/ علي شيري - ط/دار الفكر - بيروت - لبنان: ١٩٩٤م.

٤- تفسير البيضاوي -للبيضاوي -تحقيق /عبد القادرعرفات -ط/دار الفكر- بيروت - لبنان.

٥- التعريفات - للشريف الجرجاني - تحقيق/إبراهيم الأبياري - ط/١ - دارالكتاب العربي - بيروت - لبنان : ١٤٠٥هـ

٦- تفسير القرآن العظيم -لابن كثير- ط/١- دارالغد الجديد- المنصورة - مصر: ٢٠٠٥م.

٧- التفسير الكبير أو مفاتيح علوم الغيب - للفخرالرازي - تحقيق/عماد البارودي - ط/المكتبة التوفيقية - القاهرة - مصر(د.ت).

٨- تفسير النسفي - لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي - دون بيانات

٩- التفكير المنهجي وضروراته - للدكتور فتحي حسن ملكاوي - مجلة إسلامية المعرفة - العدد /٢٨-السنة/٧ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي- هيرندن - فرجينيا- أمريكا:ربيع٢٠٠٢م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن - لمحمد بن أحمد القرطبي - تحقيق/ أحمد

البردوني - ط/٢-دارالشعب - القاهرة - لسنة١٣٧٢هـ .
١١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن - لعبد الرحمن الثعالبي - ط/ مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان:(د. ت).
١٢- حوار الحضارات والثقافات - للدكتور جابر عصفور - كتاب في جريدة -ملحق بصحيفة الثورة - العدد /١٠١- ط/مؤسسة الثورة للصحافة والنشر -صنعاء -اليمن:٨ يناير٢٠٠٧م
١٣- الحوار.. الذات والآخر- للدكتور عبد الستار الهيتي - كتاب الأمة - العدد/٩٩- السنة/٢٤- ط/١- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر: ٢٠٠٤م .
١٤- حضارة أم حضارات - للدكتور محمد عمارة - مجلة المسلم المعاصر - العددان/٧٣،٧٤ -
ط/ مؤسسة المسلم المعاصر- الكويت - ١٩٩٤م - ١٩٩٥م.
١٥- روح المعاني - للآلوسي - ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت -لبنان(د.ت).
١٦- زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - ط/٣ - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان١٤٠٤هـ.
١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد بن إسماعيل الشوكاني - ط/ دار الفكر - بيروت - لبنان:(د.ت).
١٨- في ظلال القرآن - لسيد قطب ــ ط/٧- دار الشروق - القاهرة - مصر: ١٩٧٨م
١٩- فن الحوار والتفاوض - للدكتور عمر حسن بدران - ط/مكتبة جزيرة الورد - المنصورة - مصر (د.ت).

٢٠- قصص الأنبياء من القرآن والأثر -لابن كثير الدمشقي - ط /١- بيروت -لبنان:٢٠٠٥م

٢١- لسان العرب - لابن منظور - ط/١ - دار صادر - بيروت - لبنان: ١٩٩٥م .

٢٢- مناهج البحث العلمي -لعبد الرحمن بدوي - ط/دار النهضة - القاهرة - مصر:(د.ت).

٢٣- مصطلحات قرآنية - للدكتور صالح عضيمة - ط/١ - دار النصر- بيروت - لبنان ١٩٩٤م.

٢٤- من أساليب الإقناع في القرآن الكريم - للدكتور معتصم بابكر مصطفى - كتاب الأمة - العدد/٩٥- ط/١ - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر:٢٠٠٣م.

٢٥- موقف الإسلام من الصراع - للدكتور أحمد صدقي الدجاني - مجلة المسلم المعاصر- العدد/١٨ - ط/ مؤسسة المسلم المعاصر- الكويت :١٩٩٦م.